مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
مؤتمر اللغة العربية وآدابها الدولي الثاني // أربيل 30 - 31 / 7 / 2025
doi.org/10.52866/esj.2025.06

التحليل اللغوي عند رواد الدرس اللساني العربي

م. د. صلاح فرحان شتيوي سالم العنزي
وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة الأنبار
Kadoomy53@gmail.com

مستخلص:

اعتمد رواد الدرس اللساني العربي، المتأثرون بمدرسة فيرث البنيوية، المنهج الوصفي التحليلي في دراسة اللغة، فركزوا على مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. أدخلوا الأجهزة الحديثة في دراسة الأصوات، واعتبروا الصرف مرحلة وسيطة بين الصوت والنحو، ورفضوا الفصل بين المستويات اللغوية. قدموا تقسيمات جديدة للكلمة، وانتقدوا التقسيمات التقليدية. ركزوا بدايةً على الشكل والتركيب وأهملوا المعنى، ثم عاد بعضهم للاهتمام بالدلالة والسياق. أسهموا في نقل الدرس اللغوي العربي من المعيارية إلى الوصفية العلمية، وحققوا دقة وموضوعية أكبر في تحليل اللغة.

الكلمات المفتاحية: التحليل البنيوي للمستوى الصوتي، التحليل البنيوي الصرفي والنحوي، التحليل البنيوي للمستوى الدلالي.

Dr. Salah Farhan Shatawi Salem Al-Enzi
Ministry of Education/General Directorate of Education in Anbar Governorate
Kadoomy53@gmail.com

Abstract :

Pioneers of the Arabic linguistic study, influenced by Firth's structuralist school, adopted the descriptive-analytical method in studying language, focusing on its phonetic, morphological, syntactic, and semantic levels. They introduced modern instruments in the study of sounds and considered morphology as an intermediate stage between phonology and syntax, rejecting the separation between linguistic levels. They presented new classifications of the word and criticized traditional classifications. Initially, they concentrated on form and structure, neglecting meaning, but later some of them returned to focus on semantics and context. They contributed to shifting Arabic linguistic studies from prescriptivism to scientific descriptivism, achieving greater accuracy and objectivity in language analysis.

Keywords: structural analysis of the phonological level, structural analysis of morphology and syntax, structural analysis of the semantic level.

مقدمة

يتناول هذا البحث التحليل اللغوي عند رواد الدرس اللساني العربي المعاصر، مستعرضًا أسس ومناهج التحليل التي اعتمدها هؤلاء الرواد، ولا سيما تأثرهم بالمدرسة البنيوية اللندنية والمنهج الوصفي التجريبي. تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في تسليط الضوء على مرحلة مفصلية في تاريخ الدرس اللغوي العربي، إذ انتقل الباحثون من المناهج التقليدية التي قامت على الحدس والتعليل المنطقي، إلى مناهج وصفية علمية تسعى إلى تحقيق أقصى درجات الدقة والحياد في معالجة الظواهر اللغوية في مستوياتها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية.

وتكمن مشكلة البحث في محاولة الكشف عن مدى نجاح رواد الدرس اللساني العربي في تطبيق المنهج الوصفي التحليلي البنيوي على اللغة العربية، مع بيان مواطن القوة والقصور، وتأثير هذا التحول المنهجي على نتائج الدراسات اللغوية العربية، كما تهدف المشكلة إلى رصد الجدل بين القديم والجديد، خاصة في القضايا المتعلقة بالتقسيمات النحوية والتصنيف الصرفي والفونولوجي للكلمة، وموقف الرواد من قضايا المعنى والسياق.

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على تتبع جهود الرواد في تطبيق مناهج التحليل البنيوي الحديث في دراسة اللغة العربية، مع العناية الخاصّة بعرض مفاهيمهم وأدواتهم التحليلية، وتوضيح أوجه الاتفاق أو الاختلاف مع الدراسات الغربية، وبيان مدى تجذّر المنهج العلمي التجريبي في أعمالهم.

تتمثل أهداف البحث فيما يلي:

1. إبراز أثر المدرسة البنيوية والتحليل الوصفي في توجيه الدراسات اللسانية العربية الحديثة.

2. دراسة مسارات التحليل اللغوي عند رواد الدرس اللساني العربي وخاصة في المستويات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية.

3. تقييم تصورات الرواد حول مواضيع كالوحدات الصوتية والمورفيمات وأقسام الكلم، ونقدهم للمدارس التقليدية.

4. بيان حدود التراكم العلمي الذي حققوه في الحقل اللساني العربي، ومدى إسهامهم في تجاوز الوصفية التقليدية إلى التحليل البنيوي العلمي.

خطة البحث:

مدخل نظري حول البنيوية وتطور المنهج اللساني العربي، عرض جهود الرواد في التحليل الصوتي والمورفولوجي والنحوي والدلالي،

مناقشة مواقفهم من التقسيمات النحوية والصرفية التقليدية وتجديدهم في التصنيف والتحليل، رصد الإشكالات والتحديات المنهجية في أعمالهم النقدية، خاتمة تلخص النتائج وتقدم التوصيات.

بهذا، يستهدف البحث تقديم صورة شاملة وواعية لتحولات الدرس اللساني العربي الحديث، من خلال جهود رواده ونقدهم البنيوي، وفتح أفق جديد أمام الدراسات اللسانية العربية المستقبلية.

البحث اللغوي

لقد بلغ الدرس اللغوي الحديث من الدقة والضبط والموضوعية ما اتاح له أن يتبوأ مكانًا مرموقًا بين فروع المعرفة الإنسانية، و"أخذت هذه الدراسات زمام المبادرة في هدم الأسوار التي أقيمت بلا مبرر علمي واضح، بين العلوم الطبيعية

والإنسانية"[1]، وقد تطورت مدارس مختلفة من علم اللغة البنيوي انطلاقًا من مؤلف دي سوسير وتفسيراته المختلفة، إلى تشومسكي ونظريته التوليدية التحويلية، وكان من بين تلك المدارس مدرسة لندن التي أسسها العالم اللغوي الإنجليزي فيرث، والتي تتلمذ فيها عدد من علماء اللغة العربية في العصر الحديث، ومن أبرزهم:

1. **الدكتور محمود السعران** (1963-1922م).
2. **الدكتور إبراهيم أنيس** (1978-1906م).
3. **الدكتور تمام حسان** (2011-1918م).
4. **الدكتور عبد الرحمن أيوب** (2013-1919م).
5. **الدكتور كمال بشر** (2015-1921م).

تعددت اتجاهات العرب الرواد في تقديم علم اللغة البنيوي، بين النقد، والوصف، والتطبيق، والتحليل البنيوي للغة[2]، والاتجاه الأخير «هو اتجاه صاحَبَ الدعوة الى المنهج الوصفي»[3].

وعلى الرغم من أنّ معظم الرواد لم يستعمل مصطلح (البنيوية)، إلا أنّهم بما قدموه من أبحاث ودراسات حول تحليل اللغة كانوا يتبنون النظرية البنيوية أو مناهج علم اللغة البنيوي في التحليل اللغوي، وقد ساد هذا الاتجاه العديد من الأعمال التي تناولت مستويات التحليل اللغوي كافة: الصوتية والفونولوجية والمورفولوجية والنحوية والدلالية أو اقتصرت على دراسة مستوى واحد من هذه المستويات مع بيان مناهج وطرق التحليل ومفاهيمه ومصطلحاته.

ويرى الدكتور حلمي خليل أنّ من أهم مؤلفات الرواد التي تناولت مستويات التحليل البنيوي للغة هي[4]:

1. كتاب الدكتور تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) الذي صدر عام (1955م).
2. وكتاب الدكتور محمود السعران (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي) الذي صدر عام (1962م).

ومن أهم الكتب التي تناولت مستوى واحد من مستويات التحليل اللغوي هي[5]:

1- كتاب الدكتور عبد الرحمن أيوب (أصوات اللغة) الذي صدر عام (1968م).

2- كتاب الدكتور كمال بشر (علم اللغة العام الأصوات) الذي صدر عام (1971م).

التحليلي البنيوي للمستوى الصوتي:

أصبح علم الأصوات في عهد الرواد علمًا نظريًا وتجريبيًا وتطبيقيًا، يستعين في بحوثه بـ«الآلات الحديثة وصور الأشعة والحنك الصناعي مما يدخل في نطاق علم الأصوات التجريبي»[6]، التي تمكّن الباحث على كشف أسرار النطق الإنساني والتعرّف على تلك الدقائق الصوتية التي تعجز الأذن المجردة عن إدراكها[7].

وبات من الواضح لدى الدارسين أنّ التحليل البنيوي يبدأ من المستوى الصوتي (Phonetics)؛ لأنّه يمثل المظهر المادي للغة، وباعتباره المادة الواقعية القابلة للملاحظة التي نستطيع تحليلها تحليلًا موضوعيًا[8]. ثّمّ يتعداها مرحليًا إلى سائر المستويات اللسانية الأخرى، ويقوم منهج التحليل الصوتي على الدراسة العملية النطقية التلفظية

(1) العربية وعلم اللغة البنيوي، حلمي خليل: 93.
(2) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، حافظ إسماعيلي علوي: 44، العربية وعلم اللغة البنيوي: 167.
(3) العربية وعلم اللغة البنيوي: 198.
(4) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي: 198.
(5) ينظر: المصدر نفسه: 199-198.
(6) العربية المصدر نفسه: 201.
(7) ينظر: دراسات في علم اللغة، كمال بشر: 21-20.
(8) ينظر: أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: 19.

في الحدث الكلامي، مما يقتضي تفتيت الحدث الكلامي، وتحليله إلى العناصر المكونة له، وهي عملية تظهر صعوباتها في دراسة أصوات لغة لا نعرفها.

ويرى كمال بشر أنّ من أجلّ الأعمال التي شرع بها الرواد بعد عودتهم من لندن، اعتماد علم الأصوات مادة مقررة في حصص الدراسة، وبهذا صار الدرس الصوتي الحديث العام والخاص علمًا مستقلًا لأول مرة في دور التعليم العربية على إطلاقها[1].

ويؤكد كمال بشر على أهمية الدرس الصوتي، فهو ليس كما يظن بعض الدارسين نوع من أنواع الترف العلمي الذي لم يحن الوقت بعد الآن نشغل أنفسنا به، والحق أن هؤلاء الناس واهمون مخطئون. إنّ دراسة اللغة صوتيًا أمر مهم وحيوي في[2]:

1. المحافظة على اللغة القومية، وطريق من طرق التقريب بين اللهجات، والعمل على تذويب الفوارق بينها. وهذا مسلك تنهجه، الأمم الواعية التي تسعى إلى تقوية وحدتها فكريًا وسياسيًا واجتماعيًا.

2. تعليم هذه الأصوات للأجانب الذين ينشدون تعلم لغات غير لغات أمهاتهم أمر بات ضروريًا، إذ لا خير في معرفة لغة لا يستطيع الإنسان التعامل بها أو استخدامها في قضاء حاجاته.

3. ومن وجهة النظر العلمية فالمؤكد أنّ الدراسات الصوتية أساس مهم تقوم عليه البحوث اللغوية؛ صرفية أو نحوية أو معجمية ودلالية.

ويكاد يتفق الرواد أنّ هناك ثلاثة أفرع لعلم الأصوات، «تختلف فيما بينها من حيث نشأتها وتطورها ومن حيث وسائل الدرس فيها ومن حيث قوتها وضعفها أو درجة نموها ونضجها»[3]، هذه الفروع هي[4]:

1. علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي (Articulatory Phonetics).

2. علم الأصوات الفيزيائي الأوكوستيكي (Physical Phonetics).

3. علم الأصوات السمعي أو الإدراكي (Auditory Phonetics).

وهناك تقسيم آخر لعلم الأصوات، على أساس المنهج الذي يستخدم في دراسته، والزمن المعين لهذه الدراسة، ويتفرع في ضوء هذا المفهوم إلى ثلاثة فروع هي[5]:

1- علم الأصوات الوصفي (Synchronic phonetics).

2- علم الأصوات التاريخي (Diachronic phonetics).

3- علم الأصوات المقارن (Comparative phonetics).

علم الأصوات النطقي: يُعد هذا الفرع من «أقدم فروع علم الأصوات وأرسخها قدمًا وأكثرها حظًا من الانتشار في البيئات اللغوية كلها»[6]، ولعل من أبرز الجوانب التي يبحث فيها هي قضية إنتاج الصوت بالنظر في أعضاء النطق، وما يعرض لها

(1) ينظر: علم اللغة العام الأصوات، كمال بشر: 26-25.
(2) ينظر: المصدر نفسه: 21.
(3) المصدر نفسه: 13.
(4) ينظر: اتجاهات الدراسات اللسانية في مصر، عبد الرحمن حسن العارف: 85، وعلم الأصوات، كمال بشر: 13.
(5) ينظر: علم اللغة العام، محمود السعران: 101-89، وعلم الأصوات، كمال بشر: 32، واتجاهات الدراسات اللسانية في مصر، عبد الرحمن حسن العارف: 85.
(6) علم اللغة العام الأصوات، كمال بشر: 18-17.

من حركات؛ فيصف هذه الأعضاء وصفًا دقيقًا، ويحدد وظائفها ودور كل منها في عملية النطق، منتهيًا بذلك إلى تحليل مكانيكية إصدار الأصوات من جانب المتكلم[1].

لقد أعطى الرواد قضية الإنتاج الصوتي، ووصف أعضاء النطق مساحة واسعة في أعمالهم اللسانية؛ لأنّ الكلام نتيجة أحداث معينة يقوم بها جهاز النطق الإنساني[2]، الذي شبهه محمود السعران بآلة موسيقية، «أو هو أكمل آلة موسيقية من حيث المرونة، ومن حيث الإمكانيات...على إخراج أنواع من الأصوات لا حد لها»[3].

يتفق الرواد على أنّ جهاز النطق الإنساني ذو طبيعة خاصة، وعنه يصدر الصوت، وتناولوا هذا الموضوع بشيء من التفصيل، تحت عنوان عريض هو (التحليل الصوتي)[4]، عرضوا فيه أعضاء النطق أو الأعضاء الصوتية، ونبّه كل من محمود السعران وعبد الرحمن أيوب على أنّ النطق في هذه الأعضاء وظيفة ثانوية، فهي تقوم بوظائف ربما كانت أهم من ذلك لحياة الإنسان، فهي ضرورية بالنسبة للتنفس، وضرورية بالنسبة للأكل، فمن الناحية البيولوجية ليس لدى الإنسان (جهاز نطق)[5].

وقد أشار تمام حسان إلى أنّ «هناك حقيقةً...لا بدَّ من الإشارة إليها، هي أنّ الوظيفةَ الأساسيّة لهذا الجهاز، ليست متصلةً بالنطق اللغويّ، وإنّما تؤدي وظيفةً حيويّةً بالعمل، على جعل استمرار الحياة أمرًا ممكنًا...ولكنّ الضرورة الاجتماعيّة، مضافةٌ إلى الذكاء الإنسانيّ، خلقا وظيفةً ثانويّةً لهذا الجهاز الحيويّ، هي وظيفةُ النطق اللغويّ»[6].

ومن المهم أن نشير هنا إلى أنّ الدراسات الحديثة تتفق مع القدماء في أعضاء النطق، إلا أنّهم أضافوا عضوًا آخرَ لا يقل أهمية إن لم يكن أكثر منها أهمية وهو الرئتان، يقول إبراهيم أنيس: «فبغير الرئتين لا تكون عملية التنفس وبغير التنفس لا يكون الكلام، بل لا تكون حياة أصلًا»[7].

ويرى إبراهيم أنيس الدراسات الحديثة أثبتت أنّ القصبة الهوائية تستغل في بعض الأحيان كفراق رنّان ذي إثر في درجة الصوت، وذهب القدماء إلى أنّ لا إثر لها في الصوت اللغوي[8].

ويذهب كمال بشر إلى أنّ الدراسات الصوتية التقليدية مبنية في أساسها على هذا الفرع النطقي، بوصفه الوسيلة المتاحة القابلة للملاحظة الذاتية، والممارسة الشخصية بطريق ذوق الأصوات ونطقها مرة بعد أخرى، وظهر هذا الاتجاه النطقي في أعمال العرب، كما تشهد بذلك آثارهم العلمية والمصطلحات والتصنيفات الصوتية التي خلفوها من ورائهم[9].

علم الأصوات الفيزيائي: يرى كمال بشر هذا الفرع حديث العهد نسبيًا، وأنّه يمثل حلقة وصل بين علم الأصوات النطقي وعلم الأصوات السمعي، وهو فرع من علم الفيزياء[10].

(1) ينظر: المصدر نفسه: 18.
(2) ينظر: علم اللغة العام، محمود السعران: 145.
(3) المصدر نفسه: 98.
(4) ينظر: أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: 21.
(5) ينظر: علم اللغة العام، محمود السعران: 89، وأصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: 40.
(6) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 65.
(7) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 21، وعلم اللغة العام، محمود السعران: 89، وأصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: 40، مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 65.
(8) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 19.
(9) ينظر: علم اللغة العام الأصوات، كمال بشر: 18.
(10) ينظر: المصدر نفسه: 19.

ويبحث هذا العلم في أصوات اللغة من حيث خصائصها الماديَّة، أو الفيزيائية أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع، «فهو يحلل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز النطقي المصاحبة لحركات أعضاء هذا الجهاز»[1].

الصوت الإنساني هو ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب اهتزازات في حنجرة الإنسان. فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف، تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن[2].

كما يعرض هذا العلم لتردُّد الصوت، وعلوّ الصوت (النغمة)، ونوعه (الجرس)، وسعة الذبذبة وطبيعة الموجة الصوتية، ويعتمد على الجانب المعملي، يقول عبد الرحمن أيوب: «الموجة الصوتية هي مجموعة من الذبذبات الصوتية المتعاقبة التي تنتج إحداها عن الأخرى»[3]، ويعتقد تمام حسان أنّ للموجة الصوتية أهمية بالغة في عملية السمع، فاختلاف شكل الموجة هو اختلاف قيمة الصوت، إذ نستطيع التمييز بين الأصوات بالسماع ما إذا كان صوت العلة المنطوق هو هذا الصوت أو ذاك، أو تنسبه إلى الحركات: الضمة، والفتحة، والكسرة[4].

ويتوقف فهم الصوت عند تمام حسان على اصطلاحات ثلاثة يجب التفريق بينها هي[5]:

1. درجة الصوت (pitch): ويعني به سمك الصوت أو دقته ويتوقف على عدد الذبذبات التي تُنتج في الثانية الواحدة[6]، فإذا كثر عدد الذبذبات في الثانية كان الصوت دقيقًا، وإذا قل كان الصوت سميكًا، «فالصوت العميق عدد اهتزازاته في الثانية أقل من الصوت الحاد»[7].

2. شدة الصوت (Loudness): يتوقف علو الصوت أو ارتفاعه على المدى الذي يصل إليه مصدر الذبذبة في التراوح بين نقطتي غاية ابتعاده من نقطة الصفر، «فعلى قدر قرب الأذن من المصدر يكون وضوح الصوت وشدته»[8]. فإذا اتسع ذلك المدى كان الصوت عاليًا، وإذا ضاق كان الصوت منخفضًا.

3. قيمة الصوت (Quality or timbre): فهي أثره السار أو المنفر في الأذن، وهي الصفة الخاصة التي تُميز صوتًا من صوت وإن اتحدا في الدرجة والشدة.

ويبحث هذا الفرع في أصوات اللغة، باستخدام المنهج التجريبي الذي يقوم «في الوقت الحاضر بأدوار حيوية خطيرة لا في مجال الأصوات وحدها، بل في ميادين كثيرة ذات صلة بالإنسان الوسائل وحاجاته المباشرة، كما يظهر ذلك مثلًا في تقديم العون للمشتغلين بصوت الأجهزة الإنساني في أية صورة...ويرجع الفضل في ذلك إلى التقدم الكبير في الأجهزة المستخدمة في هذا الحقل»[9].

(1) المصدر نفسه: 20.
(2) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 10.
(3) أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: 98.
(4) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 61.
(5) ينظر: المصدر نفسه: 61-59، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 10-9، وأصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: 108-107.
(6) ينظر: أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: 102.
(7) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 10، وأصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: 102.
(8) المصدر نفسه: 9.
(9) علم اللغة العام الأصوات: كمال بشر: 27.

ومن هذه الأجهزة الآلات الإلكترونية المخصصة لكشف خصائص هذه الأصوات[1]، مثل: جهاز الكيموجراف، وجهاز الأوسياوجراف، وجهاز الأسيركتروجرافه.

كما يستخدم الحنك الاصطناعي لدراسة الأصوات الحنكيَّة[2]. ويسمَّى هذا العلم أيضًا: علم الأصوات المعملي، أو علم الأصوات التجريبي وهو علم مساعد لعلم الأصوات الفيزيائي.

ويرى كمال بشر أنّ هذا العلم أحدث ثورة هائلة في الدرس الصوتي؛ بتقديمه وسائل جديدة لدراسة الأصوات ووصفها، وقد استطاعت هذه الوسائل أن تقدم العون للدراسين في الكشف عن حقائق صوتية لم تكن معروفة لهم من قبل. عدلت مناهج الدرس وطرقه، وغيرت آراء وانطباعات سابقة عن الأصوات. كما أيدت بعض الحقائق التي توصل إليها بالطرق التقليدية وتأكيد سلامة الآراء المتعلقة بهذه الحقائق. وقد جاءت هذه الثورة نتيجة لتطبيق الوسائل الفنية والمبادئ العلمية المتبعة في علم الفيزياء على الصوت الإنساني[3].

علم الأصوات السمعي: هو أحدث فروع علم الأصوات على الإطلاق؛ فلكل حاسة لغة، ولكن أهم لغة هي لغة السمع[4]؛ وذلك لأنّ «السمع هو الحاسة الطبيعية التي لا بدّ منها لفهم تلك الأصوات»[5]، وبالسمع يمكن أن ندرك الأصوات من مسافة قد لا يستطيع النظر عندها ادراكها، وهو الحاسة التي تعمل ليلًا ونهارًا، وفي الظلام والنور، وفي النوم واليقظة[6].

ويقسم كمال بشر علم الأصوات السمعي قسمين[7]:

الأول: عضوي أو فسيولوجي (physiological): وظيفته النظر في الذبذبات الصوتية التي تستلمها أذن المتلقي وفي ميكانيكية الجهاز السمعي ووظائفه عند استقبال هذه الذبذبات، وهي مرحلة تقع في مجال علم وظائف أعضاء السمع.

والثاني: نفسي (psychological): يركز جهوده على البحث في تأثير الذبذبات المستقبلة ووقعها على أعضاء السمع (الداخلية منها بوجه خاص)، وفي عملية إدراك السامع للأصوات وكيفية هذا الإدراك. وهذه مرحلة نفسية خالصة وميدانها الحقيقي هو علم النفس.

ويمكننا أن نوجز أهم الدراسات الصوتية التي تناولها الرواد في التحليل البنيوي بالآتي[8]:

1. التفريق بين الفوناتيك والفونولوجيا.
2. تحديد مخارج وصفات الأصوات العربية في ضوء معطيات علم الأصوات الحديث.
3. دراسة التغيرات الصوتية التي طرأت على الصوت اللغوي في السياق، فإذا كانت الدراسة الصوتية التقليدية تتناول الصوت منعزلًا، «فإنّ الدراسة الفونولوجية تدخل في صلب الدراسة البنيوية لأصوات لغة معينة حيث تتنوع الأصوات وتختلف بدخولها في علاقات بنيوية داخل هذه اللغة»[9].

---

(1) ينظر: أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: 26، وعلم اللغة العام الأصوات: كمال بشر: 26.
(2) ينظر: وعلم اللغة العام، محمود السعران: 108.
(3) ينظر: علم اللغة العام الأصوات: كمال بشر: 21-20.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 13، ومناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 51.
(5) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 15.
(6) ينظر: المصدر نفسه: 16.
(7) ينظر: علم اللغة العام الأصوات: كمال بشر: 15-14.
(8) ينظر: اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة، عبد الرحمن حسن العارف: 96.
(9) العربية وعلم اللغة البنيوي: 211.

4. التحليل الوظيفي للصوت اللغوي الذي يقوم على تحديد القيم الخلافية والتقابلية في أصوات لغة من اللغات[1].

5. الوصف العلمي التجريبي للأصوات اللغوية.

6. دراسة الوحدات الصوتية الأدائية، كالفونيم، والمورفيم، والنبر، والتنغيم، والإيقاع...إلخ.

7. أهمية علم الأصوات في دراسة اللغة، وفي المجالات العلمية المتعددة.

8. أهمية السمع في إدراك الصوت اللغوي.

9. أهمية العلوم الطبيعية والتطبيقية ولا سيما علم الفيزياء في دراسة الصوت اللغوي.

التحليلي البنيوي الصرفي والنحوي:

من أهم المآخذ التي سجلها المحدثون على الدرس النحوي أن المستوى الصرفي في الدرس اللغوي العربي كان من أقل المستويات اللغوية حظًا من الاهتمام والعناية، وأعمال القدامى في هذا المستوى من أكبر الأدلة وأوضح الشواهد على صحة ذلك، إذ يأتي الصرف في مؤخرة التآليف النحوية، ثمّ إنّ قضاياه ومسائله مبثوثة هنا وهناك[2].

ومن المآخذ أيضًا أنّ المتقدمين لم يدركوا تمام الإدراك مدى العلاقة والارتباط بين مستويات الدرس اللغوي أو مسائل اللغة المتفرقة، ومن ثمّ كانوا ينظرون إلى هذه المستويات أو المسائل كما لو كانت منفصلة بعضها عن بعض، لا يضمها إطار عام مشترك يوحي بوحدتها وانتظامها جميعًا تحت موضوع رئيسي واحد[3].

أمّا الدراسات الحديثة فقد عدّت علم الصرف المستوى الثاني، في سلسلة العلوم اللغوية، بعد علم الأصوات، ومقدمة لعلم النحو، أو خطوة ممهدة له وليس الترتيب بين مستويات الدرس اللغوي ترتيب أهمية أو أفضلية، إنّما هو ترتيب يقتضيه منطق الأشياء[4]. ويقودنا هذا الترتيب إلى «ضرورة اعتماد كل فرع على الآخر، وحتمية الالتجاء إلى نتائجه وخلاصة بحوثه للاستفادة منها في معالجة مسائله وتوضيحها»[5].

ويرفض كمال بشر الفصل بين مستويات الدرس اللغوي، ويرى أنّ وقوع علم الصرف في هذا الموقع - بين الصوت والنحو- ضروريًا؛ لأنّه يعتمد في مسائله وقضاياه، على نتائج ومخرجات البحث الصوتي، يقول في هذا الصدد: «فعلم الصوت مثلًا لا يمكن أن يستقل عن النحو، وعلم النحو في أشد الحاجة إلى ما يقرره الأول ويسجله من حقائق، وكل منهما يلتمس العون من علم الأصوات من آن إلى آخر»[6]. وهو في الوقت نفسه يخدم النحو، ويسهم في توضيح مشكلاته وتفسيرها، ويمهد له.

ومعنى هذا أنّ الصرف مستوى من التحليل اللغوي بين المستويين الصوتي والنحوي وعلى هذا، فهو يمثل السقف بالنسبة للدراسات الصوتية، والأساس بالنسبة للدراسات النحوية، وهو عين النظرية اللغوية[7].

---

(1) ينظر: المصدر نفسه: 211.

(2) ينظر: اتجاهات الدراسات اللسانية في مصر، عبد الرحمن حسن العارف: 171.

(3) ينظر: دراسات في علم اللغة، كمال بشر: 22.

(4) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر: 422.

(5) دراسات في علم اللغة، كمال بشر: 23.

(6) المصدر نفسه: 23، والتفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر: 422.

(7) ينظر: نظرية الصرف العربي دراسة في المفهوم والمنهج، محمد عبد العزيز عبد الدايم: 12.

ويجمل تمام حسان النظام الصرفي في ثلاثة أطر هي[1]:

1. مباني التقسيم: مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم، ويعود بعضها الآخر إلى تصريف الصيغ.

2. مباني التصريف: طائفة من المباني بعضها صيغ مجردة، وبعضها لواصق، وبعضها زوائد، وبعضها مباني أدوات.

3. طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية، وهي وجوه الارتباط بين المباني وطائفة أخرى من القيم الخلافية أو المقابلات، وهي وجوه الاختلاف بين هذه المباني.

ويذهب تمام حسان إلى أنّ الصبغة التي يصطبغ بها المنهج الصرفي هي الدراسة الرأسية، ويقصد بالدراسة الرأسية دراسة الجدول، سواء أكان تصريفيًا أم اشتقاقيًا[2]. و«تنبني الفكرة الرأسية على الخلافات الشكلية في المادة الواحدة، أي اختلاف الصيغة الذي يتسبب عن التكييفات الصرفية المناسبة، أما الفكرة الأفقية، فمبناها على العلاقات بين الأبواب النحوية في السياق»[3].

أمّا كمال بشر فالصرف - عنده - «يبحث في الوحدات الصرفية (morphemes)، وأهم أمثلتها الكلمات وأجزاؤها ذات المعاني الصرفية كالسوابق واللواحق وما إلى ذلك من عناصر»[4]. ويشمل نوعين من التغييرات:

الأوّل: تغيير في الصيغ لإفادة معان جديدة، أو تحويل الكلمة إلى أينية مختلفة لاختلاف المعاني.

والثاني: تغيير في شكل الكلمة وصورها دون أن يترتب على ذلك تغيير في قيمها أو معانيها الصرفية، كتغيير الكلمة إلى وزن معين إلحاقا لها بكلمة أخرى، كتغيير (غزو) إلى (غزل) مثلا).

ويخلص بشر إلى أنّ كل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد أجزائها، وتؤدي إلى خدمة العبارة، وتؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية هي دراسة صرفية، ومن ذلك[5]:

- تقسيم الكلمة من حيث الأسمية والفعلية.
- النظر إلى الكلمة من حيث العدد (الإفراد والتثنية والجمع)، ومن حيث النوع (التذكير والتأنيث).
- الكلام عن الشخص (المتكلم والمخاطب والغيبة).

صار من الواضح أنّ العرب الرواد اعتمدوا منهج التحليل البنيوي الوصفي في تحليل المادة اللغوية، وهو منهج ظل قابعًا طوال العقد السابع وبداية العقد الثامن من القرن المنصرم في اطاره النظري والابحاث والمحاضرات، سواء في الجامعة أو في غير الجامعة، دون أن يتجاوز ذلك إلى نظرة شاملة للغة العربية يقف بها أمام النموذج التقليدي حتى صدر كتاب الدكتور تمام حسان (اللغة العربية مبناها ومعناها) في عام (1973م)، وهو يمثل التيار الثالث والأخير من التيارات التي أسفر عنها الفكر البنيوي الوصفي في دراسة اللغة[6].

ولعل إبراهيم أنيس أول الرواد الذين اعتنقوا مبادئ هذا الاتجاه، إذ يبرز في رفضه تقسيم القدماء لأقسام الكلم على أساس المعنى، ويراه أمرًا «لا

(1) ينظر: اللغة العربية معانها ومبناها، تمام حسان: 82.
(2) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 189.
(3) المصدر نفسه: 189.
(4) دراسات في علم اللغة، كمال بشر: 12، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر: 423.
(5) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر: 423-424.
(6) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي: 219.

تبرره استعمالات اللغة ولا تؤيده»[1]؛ وذلك لأنّ اعتماد المعنى وحده في التقسيم جعل فكرة الحرفية مبهمة وغامضة في أذهان النحاة، كما أنّ تعاريفهم للأسماء والأفعال جاءت ناقصة وليست جامعة مانعًة[2].

ويتفق مع سابير بأنّ لكل لغة أقسامها الخاصة وأنماطها المميزة «فما ينطبق على لغة قد لا ينطبق على أخرى»[3]، وهذا هو دأب الوصفيين التوزيعيين.

وقد استفاد إبراهيم أنيس من هذه الخلفية التوزيعية وكذلك من التراث اللغوي العربي، فوضع أسسًا جديدة اعتمد عليها في التفرقة بين أجزاء الكلام وتعريفها، وهذه الأسس هي[4]: المعنى، والصيغة، وظيفة اللفظ في الكلام.

وهنا نرى إبراهيم أنيس لم يقصِ المعنى تمامًا كما هو معروف عن التوزيعيين، ولكن في الوقت نفسه يرفض الاكتفاء بالمعنى وحده كأساس التفرقة بين أجزاء الكلام؛ لأنّ مراعاة المعنى وحده قد تجعلنا نعدُّ بعض الأوصاف مثل: (قاتل وسامع ومذيع)، أسماء وأفعالًا في وقت واحد»[5].

ويرى إبراهيم أنيس مراعاة الصيغة أو الوظيفة بمعزل عن المعنى -وهو المنهج الذي اعتمده التوزيعيون - قد يلبس الأمر في التفريق بين الأفعال وبين الأسماء أو النعوت التي ترد على وزن الفعل، مثل: أحمد، ويثرب وغيرها كثير في اللغة العربية.

فلا بدّ أن تراعى - بحسب رأيه - تلك الأسس الثلاثة مجتمعة للتمييز بين أجزاء الكلام، لذلك أقرّ التقسيم الرباعي لأقسام الكلم الذي اعتمده المحدثون في تقسيمهم الكلم إلى: اسم، وضمير، وفعل، وأداة[6].

أما التحليل النحوي عند تمام حسان والذي يسميه منهج النحو فعبارة عن «دراسة العلاقات بين أبوابه ممثلة في الكلمات التي في النص. فنحن حين نعرب نترجم الكلمات إلى أبواب ليمكن أن ننظر إليها في ضوء علاقاتها النحوية»[7]. ويستند تمام حسان في تحليله النحوي إلى المدرسة الشكلية التي تزعمها بلومفيلد والتي تدرس وتحلل الكلمات في التركيب اللغوي على أساس الشكل وحده، وتستبعد المعنى نهائيًا من التحليل النحوي[8].

واعتمد تمام حسان في تحليله النحوي على دراسة الجمل التامة من ناحية العلاقات الأفقية أو السياقية، ويصنف عناصرها تصنيفًا شكليًا وظيفيًا بعيدًا عن ما يسمى المعنى النفسي أو المعنى الذي تتحدث عنه نظرية المعرفة[9].

ومن هذا البعد التوزيعي عاب تمام حسان على النحاة القدماء تقسيمهم «الكلمات على أسس لم يذكروها لنا»[10]، وكونهم فرقوا بين هذه الأقسام تفريقًا من حيث المعنى فحسب، دفعته إلى نقد هذا التقسيم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، «وأنّ هذا النقد ينبني على أسس يمكن استخدامها في تقسيم الكلمات تقسيمًا جديدًا»[11].

---

(1) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس: 264.
(2) ينظر: المصدر نفسه: 264، ومدخل إلى المدارس اللسانية، السعيد شنوفة: 90.
(3) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس: 265.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 265.
(5) المصدر نفسه: 265.
(6) ينظر: من أسرار العربية، إبراهيم أنيس: 284-266.
(7) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان:130.
(8) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي: 204.
(9) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 197، العربية وعلم اللغة البنيوي: 205-204.
(10) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 196.
(11) المصدر نفسه: 196.

ويعتمد تمام حسان أسسًا جديدة بنى عليها تقسيمه محاولًا تدارك النقص الذي شاب تعريفات النحاة العرب الأوائل، ويحدد أسس تقسيمه الجديد في[1]:

1. **الشكل الإملائي المكتوب**: فقد اعتمد الأساس الشكلي الإملائي في التفريق بين طائفتين من الكلمات: إحداهما في صيغة الجمع، مثل: (مسلمون)، والأخرى في صيغة المفرد، مثل: (مجنون)؛ لأنّ التحليل يكشف لنا عدم تشابهما في قبول التنوين.

2. **التوزيع الصرفي**: ويقصد به التحديد لا التصريف، فالصيغة علامة شكلية لطائفة من الكلمات، والعلامة الصرفية تدل على معنى وظيفي لا معنى معجمي، ويعني بالمعنى الوظيفي: المعنى النحوي والصرفي، فمثلًا صيغة (فَاعَلَ) تدل على معانٍ وظيفية: المشاركة، صيغة فعلية لما أسند إلى الغائب، ثُمّ شكلها (فَاعَلَ) مغاير تمام المغايرة لصيغة اسم الفاعل (فَاعِل)، ولصيغة الأمر منها[2].

3. **الأسس السياقية**: السياق هو المكان الطبيعي لبيان المعاني الوظيفية للكلمات، إذ ترتبط الجوانب الشكلية للكلمات في السياق بعلاقتها بالسابق واللاحق لها، فأداة التعريف تدل على اسمية ما بعدها، وياء النسب تدل على اسمية ما قبلها.

4. **المعنى الأعم أو معنى الوظيفة**: ويقصد به تقسيم الكلمات بالنظر إليها خارج السياق، كالفرق بين (محمد) و (يقوم) فمحمد اسم علم، ويقوم فعل مضارع.

5. **الوظيفة الاجتماعية**: وتعني أنّ لبعض الكلمات دلالات اجتماعية خاصة، مثل مجموعة: أب، وأم، ومولود. وموجموعة: أنا، ونحن وهو. فالقسم الأول أسماء، والقسم الثاني ضمائر.

ويتفق تمام حسان في كتابه (مناهج البحث في اللغة) مع تقسيم إبراهيم أنيس الرباعي للكلم: الاسم، والفعل، والضمير، والأداة[3]. ومن ثَمّ يستدرك في مؤلفه (اللغة العربية معناها ومبناها) ليجعل التقسيم سباعيًا؛ بإضافة الصفة، والخالفة، والظرف، كما يتخلى عن فكرة إقصاء المعنى في التحليل اللغوي، ويرى أنّ الطريقة المثلى للتمييز بين أقسام الكلام أن يتم التفريق على أساس من المبنى والمعنى مجتمعين[4].

ويرى أنّ هذا التقسيم لا يتنافى مع أقسام الكلم التي قررها القدماء، فهي تفصيلًا لما كان مجملًا؛ إذ ما يزال الاسم أحد أقسام الكلم، وكذلك الفعل، ومازالت الحروف كلها واقعة تحت عنوان الأداة. ولكن الفارق المهم بين التقسيمين أن النظرة الحديثة كشفت عن عموم في مفهوم الاسم لدى النحاة، شمل أقسام أخرى، كالصفات والضمائر والظروف، وأنّ مفهوم الفعل قد أتسع لديهم أيضًا حتى شمل بعض الخوالف والنواسخ، وأنّ مفهوم الأداة في الفهم الحديث يشمل الحروف والنواسخ كما فهمها النحاة[5].

ويعلل الدكتور حلمي خليل تراجع تمام حسان عن اغلب الآراء التي استندت إلى المدرسة الأميركية بقياد بلومفيلد وانتهاء الأمر به إلى الاطمئنان إلى نظرية فيرث السياقية، يرجع إلى أنّ قضية المعنى كانت المنطلق التي بدأت منه الدراسات اللغوية العربية التقليدية؛ بما لها من صلة بالقرآن الكريم

(1) ينظر: المصدر نفسه: 203-196.
(2) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 174-173.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 203.
(4) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 90-87.
(5) ينظر: مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان: 276.

واعجازه[1]، «فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى. وهذا النوع من النظر إلى المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعجم إلى الدلالة»[2].

أمّا التحليل أو المنهج النحوي، عند عبد الرحمن أيوب يستند تمامًا إلى البنيوية التوزيعية، إذ يدرس ويحلل الكلمات في التركيب اللغوي «على أساس شكلي خالص مقتفيًا في ذلك أثر مدرسة بلومفيلد ومستبعدًا المعنى من التحليل النحوي»[3].

اتخذ عبد الرحمن أيوب مسألة المعنى نقطة انطلاق في رفضه التقسيم الثلاثي للكلمة، ولم يشذ عن سابقيه من الرواد العرب في نقد ورفض هذا التقسيم، «لكنّه اختلف عنهم بعدم اقتراح تقسيم جديد»[4]، وزعم أنّ النحاة العرب الأوائل في تقسيمهم الثلاثي للكلام كانوا متأثرين بنظرية افلاطون في الموجودات[5].

ويعتذر عبد الرحمن أيوب لنفسه، إذ اكتفى بالنقد وأبقى أبواب النحو كما هي دون تغيير فيقول: «فأود التنبيه إلى أنّ كتابي يهدف إلى تلخيص آراء النحاة ونقدها، لا إلى ابتكار بديل للقواعد العربية وهو عمل أرجو أن أوفق يومًا ما للمساهمة فيه»[6].

أمّا محمود السعران فيرى «أنّ معظم علماء اللغة في الغرب يتناولون في التحليل النحوي موضوعين أساسيين هما: المورفولوجيا (morphology)، والنظم (syntax)»[7].

يذهب محمود السعران إلى أنّ أي لفظ يتضمن عنصرين اثنين هما[8]:

1. المعنى: ويمثل الحقيقة المدركة أو المتصورة، ويمثل له في قولنا: الشجرة مزهرة. فعنصر المعنى يتمثل في حقيقة (الشجرة) وفي حقيقة (الإزهار)، ويدرس هذا العنصر تحت اسم الدلالة.

2. العلاقة أو العلاقات التي تتكون بين المدركات أو المعاني، وهذا العنصر يسمى في الاصطلاح اللغوي: المورفيم (Morpheme)، وهو جزء من النظر في النحو.

وبعد هذه الخطوة الأخيرة ينتقل اللغوي إلى النظر في النظم وهو «ترتيب الكلمات في جمل، أي أنّه يدرس الطرق التي تتألف بها الجمل من الكلمات. فدراسة النظم في جوهرها هدفها تحديد القواعد المألوفة في ترتيب الأقسام»[9].

دعا محمود السعران أن يكون التحليل الصوتي والتحليل النحوي تحليلًا شكليًا[10]، «وإلى استقلال هذه المقاييس عن المعنى الدلالي»[11]، ذلك أنّ (الفونيم) و(المقطع) هما عنصرا التحليل في الصوت، و(المورفيم) و(الكلمة) هما عنصرا التحليل في النحو.

فهو يتناول الفصائل النحوية، ومواقع الكلمات في الجمل على أساس شكلي أو صوري؛ لأنّ التحليل

(1) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي: 206.
(2) اللغة العربية معناها ومبناها: 9.
(3) العربية وعلم اللغة البنيوي: 204.
(4) اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، حافظ إسماعيلي علوي: 223.
(5) ينظر: دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمن أيوب: 9، واللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، حافظ إسماعيلي علوي: 223.
(6) الشكل والمضمون في التركيب اللغوي: عبد الرحمن أيوب: 42.
(7) العربية وعلم اللغة البنيوي: 212-211، وعلم اللغة العام، محمود السعران: 216و226.
(8) ينظر: علم اللغة العام، محمود السعران: 216.
(9) المصدر نفسه: 226.
(10) ينظر: المصدر نفسه: 209.
(11) المصدر نفسه: 210.

النحوي - كما يرى- يجب أن يكون شكليًا أو صوريًا، ومن ثَمّ فإنّ «اللجوء إلى المعنى لا ضرورة له، وأنّه عندما يصطدم بالشواهد الشكلية يكون مضللًا»[1].

ومن أهم مبادئ التحليل النحوي عند محمود السعران هي[2]:

1. استبعاد الأصول الفلسفية القديمة في التحليل.

2. استبعاد التقديرات العقلية وما إليها من تأويل أو حدس أو تفسير.

3. استبعاد المعنى من التحليل النحوي.

4. أن يكون تحليل الصور اللفظية تحليلًا شكليًا أو صوريًا، وتصنيفها على أسس معينة ثمّ تصنيف العلاقات الناشئة بين الكلمات داخل الجملة.

أمّا كمال بشر فقد انتقد التحليل النحوي للنحاة العرب الأوائل؛ لأنّه - بزعمه - تحليل تنقصه الدقة، وأنّ النحاة «لم يلتفتوا أحيانًا إلى كيفيات أداء الناطقين، وما ينتظم هذا الأداء من تلوينات صوتية، ونغمات موسيقية، من شأنها أن تعين الدارس على التحليل والتفسير على وجه دقيق»[3].

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما سلكوه في تحليل الشاهد الشعري لأمرئ القيس[4]:

فاليوم اشربْ غَيرَ مُستَحقبٍ

إثمـًا من اللهِ ولا واغلِ

فمذهب سيبويه في الفعل (أشربْ) بالسكون، لا بالرفع على أنّه للمتكلم وليس هناك ما يجزمه[5]، وفسّره على وفق الظاهرة الصوتية المعروفة بالاختلاس، أنكر المبرد رواية الإسكان وعدها لحنًا إذ استبدل رواية الشاهد (اليوم أشربْ) برواية بديلة إذ روى البيت[6]:

فاليوم فأشرب غَيرَ مُستَحقبٍ

إثمـًا من الله ولا واغلِ

محاولًا الالتزام بالأصول النحوية، وقال: «إنّما الرواية: فاليوم فأشربْ، بصيغة الأمر»[7].

ويذهب كمال بشر إلى أنّ النحو يبحث في أربعة جوانب متصلة غير منفصلة هي[8]:

1. الاختيار أو الانتقاء (choice or selection): والحقيقة أنّ النص على جانب الاختيار أو الانتقاء يرجع إلى فكرة العلاقات الرأسية للكلمات التي قال بها سوسير في تصنيفه لعلاقات الكلمات إلى علاقات رأسية وأخرى أفقية، وهذا الجانب يعطي للتركيب بعدًا رأسيًّا ينضاف إلى بعده الأفقي المتعارف عليه. وهو يتصل بعمل المتكلم الذي يقوم بالاختيار، ويبقى عمل النحوي معه متمثلًا في رصد العلاقة التي بين اللفظ الذي اختاره المتكلم وبين غيره من الألفاظ التي يمكن أن تشغل الموقع.

2. الرتبة أو الموقعية: (word-order) وهي علاقة بين جزءين مرتبين من أجزاء السياق يدل موقع

(1) المصدر نفسه: 213.

(2) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي: 212، علم اللغة العام، محمود السعران: 207.

(3) التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر: 471.

(4) ينظر: ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي 134، والكتاب، سيبويه: (4/204)، وهمع الهوامع، السيوطي (ت:911ه): (1/217).

(5) ينظر: الكتاب، سيبويه: 4/ 204، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر: 471.

(6) ينظر: الكامل في اللغة والأدب، محمد بن زيد المبرد أبو العباس (1/195).

(7) التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر: 470.

(8) ينظر: دراسات في علم اللغة، كمال بشر: 13، والنظرية اللغوية في التراث في التراث العربي، محمد عبد العزيز عبد الدايم: 205.

كل منهما من الآخر عل معناه، ويؤكد تمام حسان «أنّ بين الرتبة النحوية وبين الظواهر الموقعية رحمًا موصولة؛ لأنّ الرتبة حفظ الموقع، والظاهرة الموقعية هي تحقيق مطالب الموقع على رغم قواعد النظام»[1].

3. المطابقة (concord) أو الارتباط الداخلي: بين الوحدات المكونة للجملة أو العبارة وما إلى ذلك من مسائل لها علاقة بنظم الكلام وتأليفه. ومن ذلك ارتباط الصرف بالنحو، إذ جمع أكثر العلماء بينهما وأطلقوا عليهما اسمًا واحدًا هو (grammar) أي: (قواعد اللغة)، أو ما يفضل بعضهم ترجمته (بالنحو)، على اعتبار أنّ النحو لا ينفصل عن الصرف، ولا يستغني أحدهما عن الآخر، أو على أقل تقدير، هذا ما يجب أن يكون عليه الأمر بالنسبة لهذين العلمين.

4. الإعراب: العلامات الإعرابية هي نوع واحد من أنواع القرائن، بل هي قرينة يستعصي التمييز بين الأبواب بواسطتها حين يكون الإعراب تقديريًّا أو محليًّا أو بالحذف؛ لأن العلامة الإعرابية في كل واحدة من هذه الحالات ليست ظاهرة فيستفاد منها معنى الباب. ويذهب تمام حسان إلى أنّ العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى، فلا قيمة لها بدون الجوانب المتقدمة، وهذا القول صادق على كل قرينة أخرى بمفردها، سواء أكانت معنوية أم لفظية[2].

نلاحظ من العرض السابق أن التحليل البنيوي التوزيعي الشكلي استطاع أن يشغل حيزًا واسعًا في الفكر العربي اللغوي العربي الحديث؛ لرفضه الحدس والتخمين والتعليلات المنطقية التي ارتبط بها الدرس النحوي التقليدي، ومن ثمّ ارتبط المنهج الشكلي باللسانيات الوصفية حتى «أصبحت الشكلية والتحليل الشكلي على المستوى النحوي من أصول علم اللغة الوصفي والوصايا التي يقدمها د. السعران – يرحمه الله – للواصف النحوي تؤكد ذلك وتقرره»[3].

التحليلي البنيوي للمستوى الدلالي:

أما فيما يتصل بالتحليل اللغوي وعلاقته بالمعنى، فقد خلص إبراهيم أنيس إلى أفكار مهمة تتمثل في الآتي:

أوّلاً: أنواع الدلالات: تعرض للتحليل المورفولوجي للبنية اللغوية بما يتصل بالدلالة، ويرجع في هذا التحليل الى ادوارد مسابير، الذي يرى «أنّ تحليل الكلام إلى عناصر أو وحدات ذات دلالة، يقسم الكلام إلى مجموعات صوتية منها ما ينطبق على الكلمة، ومنها ما ينطبق على جزء من كلمة، ومنها ما ينطبق على كلمتين أو أكثر»[4].

ثانيًا: العلاقة الرمزية بين اللفظ والمعنى: العلاقة بين اللفظ والمعنى عند إبراهيم أنيس علاقة رمزية اعتباطية، وأنّ الربط الطبيعي بين اللفظ ودلالته فيه مغالاة، وأنّ قدرة الدلالة مرجعها إلى ما يكتسبه المرء من ألفاظ[5].

ثالثًا: المركز والهامش في الدلالة: يسلم إبراهيم أنيس بوجود دلالة مركزية تمثل القدر المشترك من الدلالة الذي يسجله اللغوي في معجمه، وأخرى هامشية تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم

(1) اللغة العربية معناها ومبناها: 209.
(2) ينظر: المصدر السابق: 205.
(3) العربية وعلم اللغة البنيوي: 214، وينظر: علم اللغة العام محمود السعران: 240–238.
(4) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: 32.
(5) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: 59، والعربية وعلم اللغة البنيوي: 161.

وأمزجتهم[1].

رابعًا: عوامل التطور الدلالي وقوانينه: تحدث إبراهيم أنيس عن قوانين التطور الدلالي، وعن الحقيقة والمجاز، باعتبار أنّ المجاز مظهر من مظاهر التطور الدلالي، ويرى أنّ الاستعمال هو المحرك الأول للتغير اللغوي بعامة والدلالي خاصة. ويحدد قوانين التغير الدلالي كما حددها علماء اللغة المحدثون في أربعة، وهي: تخصيص الدلالة، وتعميمها، وانحطاطها، ورقيها[2].

خامسًا: الدلالة والترجمة: يؤكد أبراهيم أنيس «أنّ اختلاف الترجمات يرجع إلى اختلاف تجارب المترجمين مع الكلمات، وما يحيط بها من ظلال المعاني»[3].

أمّا تمام حسان فيفصل بين ما يسميه علم الدلالة التاريخي (ديكاروني) الذي يهتم بدراسة تغير المعنى من عصر إلى عصر، وعلم الدلالة الوصفي (سينكروني) الذي يدرس المعنى في مرحلة محددة من مراحل تاريخ اللغة[4]. كما فرّق «بين ما يسميه منهج المعجم الذي يدور حول الكلمة إيضاحًا وشرحًا ليجلو منها المعنى المعجمي والنطق والمعنى الوظيفي، وبين منهج الدلالة من حيث هو فرع من فروع علم اللغة يدرس المعنى»[5].

ويرى حلمي خليل أنّ أهم الآراء التي عرضها تمام حسان فيما يخص طبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى هي «ربطه بين النظرة الاستاتيكية في التحليل الدلالي ونظرية فيرث في السياق ودوره في المعنى»[6]، وبهذا يكون تمام حسان قد تخلى عن فكرة تحليل المدرسة الشكلية التي تستبعد المعنى في التحليل اللغوي، ويعتمد نظرية فيرث في التحليل التي يرتبط فيها التحليل البنيوي بالمعنى أولًا وأخيرًا[7].

ويعتقد تمام حسان أنّه لا يمكن الوصول إلى دلالة اللفظ في صورته الشاملة، إلا في استعمال وسائل التحليل التي تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة: الصوتيات، والصرف، والنحو، أي الفروع الخاصة بتحليل المعنى الوظيفي، ثمّ المعجم، والحقائق التي نصل إليها بواسطة التحليل على هذه المستويات حقائق جزئية بالنسبة إلى المعنى الدلالي[8].

ويسلك محمود السعران مسلك تمام حسان ويقسم علم الدلالة على نوعين: علم الدلالة الوصفي، وعلم الدلالة التطوري[9]، وفي تحليل المعنى يجد أنّ «تحديد المعنى أمر على جانب كبير من الصعوبة»[10]. لأنّه يرى أنّ لكل كلمة من الكلمات مضمونًا منطقيًا الذي يعادل عنده المعنى المعجمي، ومضمونًا نفسيًا يختلف من فرد إلى فرد طبقًا لثقافته وطبقته الاجتماعية، ويخلص إلى أننا لا نستعمل الكلمات بمعناها المنطقي منفصلًا عن مضمونها النفسي[11]، وهذا الاتجاه في أساسه ينسب

(1) ينظر: دلالة الألفاظ: 82-81.
(2) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي: 161، ودلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: 122-93.
(3) العربية وعلم اللغة البنيوي: 162.
(4) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 240.
(5) العربية وعلم اللغة البنيوي: 205، مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 240.
(6) العربية وعلم اللغة البنيوي: 205: 206.
(7) ينظر: المصدر نفسه: 206.
(8) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 341.
(9) ينظر: علم اللغة العام، محمود السعران: 262.
(10) المصدر نفسه: 269.
(11) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي: 215، وعلم اللغة العام، محمود السعران: 278.

إلى مدرسة بلومفيلد التي تقابل مدرسة فيرث[1].

ثّمّ ينتقل بعد ذلك إلى قضية تغير المعني وتطوره عبر الزمن وقوانينه فيعرض لأنواع التغير الدلالي، انحطاطًا وتساميًا وتعميمًا وتخصيصًا، ثم علاقة التغير الدلالي بالتاريخ الثقافي. ومن الملاحظ في الدرس الدلالي عند محمود السعران أنّه يغلب عليه الطابع التاريخي أكثر من الطابع التحليلي[2].

أمّا كمال بشر فيرى أنّ مهمة علم الدلالة أو ما يفضل أن يسميه (السيمانتيك) في الدرس اللغوي، البحث في المعاني ومشكلاتها، وهنا تكون الدلالة شديدة الارتباط والصلة بالمعجمات[3].

لهذا كانت الدلالة في أوّل أمرها شديدة الارتباط بالمعجمات، وكانت تعني عند الأولين «العلم المنظم لمادة المعجمات من حيث المعنى، وهو الكفيل بوضع القوانين والقواعد العامة: التي تخضع لها المعاني في المجتمع المعين، من حيث علاقتها بالظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، ومن حيث ما يطرأ عليها من تغير كالتوسيع أو التضييق فيها مثلًا»[4].

وهناك فريق آخر عنده الدلالة ذو ارتباط بالمعجم والنحو كذلك، ولهذا كان هناك عند هؤلاء ما يسمى بالمعنى المعجمي وما يسمى بالمعنى النحوي.

وهناك فريق ثالث يرى أنّ الدلالة فرع له وظيفة معينة، هي البحث في المعنى حقيقة، لكن على أساس أنّ ما يوضحه في هذا الشأن إنّما هو جزء واحد من المعنى التام، وبقية الأجزاء تقوم بها الفروع الأخرى لعلم اللغة، كل فرع يقوم بدوره المخصص له في هذا الشأن.

والدلالة أو علم المعنى عند هؤلاء ليس تابعًا لفرع آخر، ولا متضمنًا له وإنّما هو جزء من كل (الكل هو علم اللغة) وله حينئذ صفات هذا الجزء من حيث التبعية والاستقلال[5].

استنادًا إلى ما سبق يحق لنا أن نقول: إنّ العرب الرواد اتخذوا من منهج التحليل الشكلي وسيلة للبحث والدراسة، وليس في منهج دراستهم للغة مجال للحدس والتخمين، ولعل أهم المبادئ المميزة لهذا المنهج الوصفي هي ما يأتي[6]:

1. التركيز على التركيب الشكلي أو البنية الظاهرة للغة.

2. إهمال دراسة المعنى لأنّه لا يشكل مظهرًا خارجيًا يمكن النظر فيه بالمنهج العلمي الموضوعي المستخدم في العلوم الطبيعية.

3. دراسة الظاهرة اللغوية وفق المنهج العلمي التجريبي الذي يشبه المنهج المستخدم في العلوم الطبيعية الأخرى.

الخاتمة:

كان سعينا في هذه الدراسة تقديم عرض مختصر ومركز لمبادئ التحليل اللساني، وأهم الاتجاهات اللسانية والمنهجيات التي أعتمدها رواد المدرسة اللندنية العرب في تحليل القضايا اللغوية المختلفة، وبعد هذا العرض توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج هي:

1. إنّ الفضل الكبير في تقريب وتيسير المفاهيم اللسانية الأوروبية والأمريكية، ومناهجها اللغوية

(1) دراسات في علم اللغة، كمال بشر: 33.
(2) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي: 215-214، دراسات في علم اللغة، كمال بشر: 35.
(3) ينظر: دراسات في علم اللغة، كمال بشر: 14.
(4) المصدر نفسه: 14.
(5) ينظر: المصدر السابق: 14.
(6) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما: 91-89.

تمّ على يد ثلة من المثقفين (الدارسين) العرب المصريين المبتعثين إلى المدرسة اللندنية في منتصف القرن العشرين، فبعد عودتهم رفعوا شعار التجديد في البحث اللغوي العربي، ودعوا إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

2. إنّ العرب الرواد اتخذوا من منهج التحليل الشكلي وسيلة للبحث والدراسة، وليس في منهج دراستهم للغة مجال للحدس والتخمين

3. لقد استطاع علم اللغة البنيوي أن ينتقل بالدرس والبحث اللغويين من المعيارية إلى الوصفية، واتخذ من دراسة العلاقات ووصفها وصفًا موضوعيًا، فلسفة عامة جمعت بين النظريات اللغوية المختلفة.

4. يكاد يتفق العرب الرواد على الدعوة إلى تبنّي المنهج الوصفيّ في البحث اللّغوي ورفض المعيارية التي اصطبغت بها الدراسات التقليدية، بالإضافة إلى نقد جوانب من النظرية اللغوية القديمة، ويقوم هذا النقد على على معايير أهمها: إقصاء المعنى في دراسة الظاهرة اللغوية، واعتماد الشكل أساسًا لذلك، ورفض التعليل والتأويل الفلسفي والمنطقي.

المصادر والمراجع

1. اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر (1932 – 1985)، أ.د. عبد الرحمن حسن العارف، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط1، مصر، 2013م.

2. أصوات اللغة، دكتور عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، ط2، مصر، 1986م.

3. الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2017م.

4. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، دكتور نايف خرما، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والتنمية والآداب –الكويت، 1987.

5. التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2005م.

6. دراسات في علم اللغة القسم الأول، دكتور كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، 1969م.

7. دراسات في علم اللغة القسم الثاني، الدكتور كمال محمد بشر، دار المعارف، ط9، مصر، 1986م.

8. دراسات نقدية في النحو العربي، الدكتور عبد الرحمن أيوب، مؤسسة الصباح، الكويت.

9. دلالة الألفاظ، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، مصر، 1976م.

10. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط5، بيروت – لبنان، 2004م.

11. الشكل والمضمون في التعبير اللغوي، مقال بمجلة الاقلام، بغداد، كانون الثاني (1999م).

12. العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، حلمي خليل، دار المعرفة

الجامعية، مصر 1995م.

13. علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000م.

14. علم اللغة العام القسم الثاني الأصوات، دكتور كمال محمد بشر، دار المعارف، ط4، بمصر، 1970م.

15. علم اللغة العام مقدمة للقارئ العربي، الدكتور محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

16. الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: 285هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، 1417هـ - 1997م.

17. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1988.

18. اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، الدكتور مصطفى غلفان، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء، 2006م.

19. اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، حافظ إسماعيلي علوي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2009م.

20. اللغة العربية معناها ومبناها، مؤلفات الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، ط6، القاهرة، 2009م.

21. مدخل إلى المدارس اللسانية، الدكتور السعيد شنوقة، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، القاهرة، 2008م.

22. مقالات في اللغة والأدب الجزء الثاني، مؤلفات الأستاذ الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2006م.

23. من أسرار اللغة، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، القاهرة، 1966م.

24. مناهج البحث في اللغة، الدكتور تمام حسان، دار الثقافة، مكتب النسر للطباعة، مصر، 1989م.

25. نظرية الصرف العربي دراسة في المفهوم والمنهج، الدكتور محمد عبد العزيز عبد الدايم، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الحادية والعشرون، 20001م.

26. النظرية اللغوية في التراث في التراث العربي، محمد عبد العزيز عبد الدايم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 2006م.

27. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر.